معاني الجريال والزرجون وأصلهما

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرملي

قد اختلف اللغويون ايَّ اختلاف في اصل كلمة الجريال ومعانيها فذهبوا فيها كل مذهب . وطرقوا فيها كل مشعب . ثم جاء بعدهم علماء الافرنج الفضلاء . فزادوا على آراء العرب آراء . وهي لا تزال في غموض واشكال . واغلاق وإعضال . ومصداقاً لذلك اورد هنا بعض هذه الاقوال . ليطلع عليها القارئ ثم اذكر ما عنَّ لي في هذا البحث من المقال . قال ابن منظور :

الجِرْيال والجِرْيالة : الخمر الشديدة الحمرة . وقيل : هي الحمرة . وقال الاعشى :

وسَيْنٍ مما تُشْتَرَى بابلٌ كَدَمِ الذبيح سَلَبُها جريالها

وقيل : جريال الخمر : لونها . وسُئل الاعشى عن قوله : سلبُها جريالها . فقال : اي شربتها حمراء فبُلتُها بيضاء . وقال ابو حنيفة : يعني ان حمرتها ظهرت في وجهه وخرجت منهُ بيضاء . وقد كسَّرها سيبويه يريد بها الخمر لا الحمرة لان هذا الضرب من العرض لا يكسَّر وانما هو جنس كالبياض والسواد . وقال ثعلب : الجِرْيال صفوة الخمر . وانشد :

كأنَّ الريق من فيها سحيقٌ بين جِريالِ

اي مسك سحيق بين قِطَع جِريال او اجزاء جِريال . وزعم الاصمعي : انَّ الجِرْيال اسم اعجميٌّ رومي عُرِّب كان اصلهُ « كِريال » قال شمر : العرب تجعل الجريال لون الخمر نفسها وهي الجِرْيالة . قال ذو الرمَّة :

كأني اخو جِرْيالةٍ بابليَّةٍ كُمَيتٍ تمشَّت في العظام شُمُولها

فجعل الجِرْيالة الخمر بعينها . وقيل : هو لونها الاصفر والاحمر . الجوهري : الجريال : الخمر وهو دون السلاف في الجودة . ابن سيدة : والجِرْيال : ايضاً سُلافة العُصفُر . ابن الاعرابي : الجريال ما خاص من لونٍ احمر وغيره . والجريال : البَقَم . وقال ابو عبيدة : هو القَاشْتَج . والجِرْيال صِبغٌ احمر . وجريال الذهب : حُمرتهُ . . . اه

اما التاج والقاموس فلم يرد فيهما ما يزيد هذه المعاني معنى جديداً بل عبارتهما اخصر من عبارة اللسان فضلاً عن انهما لم يُلمِّعا الى اعجميَّة اللفظة . واما في المصباح فلم يرد فيهِ شيءٌ البتَّة . واما الاوقيانوس فذكر معانيها ولم يذكر اصلها وكذلك فعل صاحب محيط المحيط واقرب الموارد . اما الخفاجي فقد ذكر في شفاء الغليل لُخَّص كلام اللسان وتابعهُ في كون اصلها من الرومية

وقد وجدناها مرارًا في شعر الاخطل (راجع طبعة ديوانه لحضرة الاب صالحاني ص١٤٦ و١٦١ و٣٦٢) فقال الشارح في المحلّ الاوّل: الجريال صبغ يشبّه بالدم والحمرة. وقال في الثاني: الجريال من اسماء الخمر قال ابن الاعرابيّ: ولا احسبها سُمّيت بها الّا من نبت شديد الحمرة فشبّه الدم به. وقال في الثالث: جريالُ الحمرة لونها الاحمر

هذا معظم واشهر ما جاء في كتب العرب. واما الافرنج فقد قال فيها فريتاگ في معجمه العربي اللاتيني: " ان اصلها من اليونانية على رأي فريتج " وهذه عبارته باللاتينية (Sec. nonn. vox græca). وقال الاب لامنس اليسوعي في كتاب الغروق ما نصُّهُ: المرجان هو (corail) الذي يُقال له باليونانية (κοράλλιον) ويحتمل ان اصلهُ " جِرْيال " وهو صبغ احمر. وقيل ماء الذهب. وفي المعرَّب (للجواليقي) زعم الاصمعي انهُ رومي معرَّب تكلمت به العرب الفصحاء قديمًا قال الاعشى ... (البيت) ... والجريال: كل ما خلص من لون احمر وغيره. وفي كل هذه المعاني يستمرّ معنى الحمرة فهو موافق لون (κοράλλιον) كما هو معلوم " آه

ولا جرم ان ابوتّهُ تبع في ذلك رأي فرنكل ص٥٩ من كتابه في الالفاظ العربية الارمية الاصل. ولا نظنّ انّ فرنكل بقوله قطع كجهيزة قول كل خطيب

ومع كل ما قالهُ الاقدمون والمتأخرون فقد بقي لنا مقام للمقال وان كان يسوءنا ان نخالف بذلك رأي من سبقنا. ورأينا ان الكلمة فارسية الاصل مُركّبة من زَرّ (اي ذهب) وآلْ " وهو لون بين الاحمر والاصفر نسمّيه بالعربية باسماء مختلفة بين زعفرانيّ ووردي وقرمزيّ وذهبيّ وارجوانيّ ونحوها مما يجمع بين اللونين وهو بالفرنسية (cou-leur rouge d'or, vermeil, rose) ومن " زرآل " نقلوها الى " جريال "

فامّا قلب الزاي جيمًا فليس امرًا مجهولًا عند العرب ولاسيما في الالفاظ المنقولة عن الفُرس فقد قالوا: الهِنْزَمَن وهي الجماعة واصلها هَنْجُمَن بفتح وسكون فضمّ الجيم وفتح الميم (التاج). وقالوا: الجَدْوار واصلها زدوار للنبات المعروف. وعرّبوا جيّة واصلها زيّ. وغير ذلك من الالفاظ. وقد ورد في العربيّة نفسها مثل هذا الابدال فقد قالوا الهَزَف والهَجَف بمعنى واحد اي الجافي (المزهر ١: ٢٢٨). واليونان الاقدمون لم يعرفوا قط الجيم الشجريّة والمحدثون منهم يجدون صعوبة عظيمة في حكاية هذا الصوت فيعبرون

عنهُ بالزاي Z فقالوا مثلًا في ضُجعُم (Zoxoμος) او (Zoxoμος) ولا جرم انَّ العرب الذين عاشروا هؤلاء الاقوام لفظوا لفظهم

واما قلب احدى الهمزتين ياء فهو امرٌ مألوف عندهم ايضًا فقد قالوا : « زِرْياب » واصلهـا زرْ (ذهب) وآب (ماء) تيسيرًا للفظ . او انهم ابدلوا احدى الهمزتين ياء جريًا على لغة بعض العرب ممَّن يقول في الالمعيّ « يلمعي » وفي ارقان « يرقان » وفي أُسروع « يُسروع » الى غير ذلك ممَّا ورد أمثلتـهُ في المزهر (١ : ٢٢٣ ثم ١ : ٢٢٩ و ١ : ٢٦٤)

اما من جهة معاني اللفظة فاذا عَرفتَ ان مُحصَّل معنى الجِرْيال : « ما كان لونـهُ ذهبيًّا او زعفرانيًّا » علمت ما يحتمل هذا التعبير من المعاني اذ قد يقع ذلك على الخمر ولونها وصُفوتها وصُفرتها (الاولى بالواو والثانية بالراء) وسُلافة العُصفُر والصبغ الاحمر وماء الذهب الى غير ذلك مما لا يخلو ان يكون لونـهُ لون الخمر الحمراء او الصفراء صفَت او لم تصفُ . وقد توسَّعوا في المعنى من جهة الصفاء حتى اطلقوهُ على كل ما خُلص من الالوان أحمر كان او غير أحمر . على ان هنالك معنى واحدًا أُشكل عليَّ ردُّهُ وهو قول ابي عُبيدة : « الجريال هو النَّشَاسْتَجُ » الَّا ان هـذا المعنى لم يذكرهُ الَّا ابو عبيدة فيحتمل ان يكون قد وهم فيهِ او ان يكون مأخوذًا من صفاء لونهِ . وهنالك امر آخر لا يجوز لنا ان نسكت عنهُ مما يؤيد هذا الرأي رسوخًا وهو ان الشعراء الاقدمين الذين ذكروا هذه اللفظـة في اشعارهم كانوا ممن عاشوا بين الفُرس فيسهل بذلك فهم اخذهم هذه اللفظة عنهم

*

ومما يجدر ذكرهُ حرفٌ آخر يُؤاخي هذا الحرف أصلًا ومعنى وهو « الزَّرَجُون » . قال في اللسان ما هذا ملخَّصهُ من المعاني :

« الزَّرَجُون : الماء الصافي يستنقع في الجبـل عربي صحيح (؟!) والزرجون بالتحريك : الكرم . . . قال الاصمعي : هي فارسيَّة معرَّبة اي لون الذهب . وقيل هو صبغ احمر . قـالهُ الجَرمي . وقيل : الزرجون قضبان الكرم بلغة اهل الطائف واهل الغَوْر . . . وقال ابو حنيفة : الزَّرَجون : القضب يُغرس من قضبان الكرم . . . والزَّرَجون : الخمر (راجع ديوان الاخطل ص ٢٢٤) قال السيرافي : هو فارسي معرَّب شُبِّه لونهـا بلون الذهب لانَّ « زَرْ » بالفارسيَّة الذهب . و « جُون » (والصواب كُون) اللون . وهم ما يكسون المضاف والمضاف اليهِ عن وضع العرب . . قال شمر : اراها فارسيَّة معرَّبة زردقون (كذا وهو خطأ والصواب ما قالهُ السيرافي

اي انها معرب «زركون»). قال: وليست بمعروفة في اسماء الحمر زَرْكِون (كذا وقال مصححهُ: قولهُ: غيرهُ زركون. عبارة التهذيب: وقال غيرهُ اي غير شمر معربة زركون اه) فصيّرت الكاف جيماً يريدون: لون الذهب اه»

قلت: اما كون الزَّرَجون بمعنى الماء الصافي يستنقع في الجبل عربيةً صحيحة. فقد يكون الامر كذلك الّا انَّ الكلمة لا تخلو من عجمة في الاصل ولا شكَّ انها اعجميَّة بهذا المعنى ايضاً لانَّ المادَّة كلها غريبة. وسمّوا الماء المذكور بهذا الاسم كما سمّوا بالجريال: «كل ما خَلُص من لون أحمر او «غيره» و«صَفْوة الخمر» ولكون مثل الماء المذكور يكون دائماً صافياً رائقاً جاز تسميتهُ بذلك. اما مجيء الزَّرَجون بمعنى الكرم فهو من باب تسمية المعلول باسم العلَّة وبقيَّة المعاني تشبهُ معاني لفظة الجريال فاحفظها من الأغفال. يحفظك الرب المتعال

شركة ملاحيَّة قديمة في بيروت

نبذة للاب لويس جلابرت اليسوعي مدرّس الكتابات القديمة في المكتب الشرقي (تتمَّة)

انَّ من امعن النظر في الكتابة التي نشرناها (ص ٦١٧—٦٢١) ظهر لهُ فحواها واستخرج معنى شكاية الملّاحين مما يأمر به ناظر الميرة للوكيل الامبراطوري فان يليانوس يتقدَّم الى الوكيل بامرين الاوَّل بان تُتَّخذ مقاييس شرعيَّة ثابتة يُجعل عليها طابع الدولة والثاني بان يُعطى خفرٌ للملّاحين ليصحبوا السفن ويبلّغوها الى ايدي اصحابها. وهذان الامران يدلّان على انَّ الملّاحين تشكّوا لناظر الميرة من سرقة القمح عند شحنهِ وفي طريقهم وذلك ان الذين كانوا يسلّمونهم في مدينة أرل القمح المجلوب من اواسط بلاد غالية اما على العجلات واما على نهري الرون والسون لم يسلّموهُ تماماً بل يبخسون فيهِ حقوقهم لانهم كانوا اذا كيّلوا الميرة مسحوا الكيلة بمقاييس حديديَّة في وسطها بعض التحديب فيمكسوهم على كل كيلة شيئاً من القمح فيبلغ المكس على ألوف من الكيلات مبلغاً عظيماً

ثمَّ كان الملاحون عند وصولهم الى مرفأ اوستية يسلّمون القمح الى العمّال الموكول اليهم نظارة الميرة فكان هؤلاء يميدون قياسها فيجدون نقصاً في الكيلات بحيث تنقص